الفصل السابع

سنة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة

نظرة على قصة سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو سليمان بن داود، وينحدر نسله إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.

أعطى الله سيدنا سليمان قدرات خارقة للقدرات البشرية، فعلمه منطق الطير، وفهم لغاتها، وأعطاه قدرة فائقة على سماع الأصوات، حتى سمع صوت النملة وحوارها مع قومها.

آتاه الله من كل شىء يحتاج إليه فى حياته، فى دعوته ورسالته وملكه، وكان شاكرًا لنعم الله عليه، وطلب من ربه أن يوزعه شكر نعمته التى أنعمها عليه وعلى والديه، وأن يعمل صالحًا يرضاه، وأن يدخله برحمته فى عباده الصالحين.

وكيف لا يشكر نعمه وقد كان جنوده من الإنس والجن ومن الحيوانات والطيور التى سخرها رب العالمين لمن اختاره نبيًّا على قومه؟!

واستطاع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعرف ما لا يستطيع أحد من البشر أن يعرفه، فقد أطاعه البشر والجن والحيوانات والطيور، فهذا الطائر الجميل الهدهد يبلغه بأخبار عن عرش عظيم، وعن ملكة هذا العرش وقومها وما يعبدون.

ولم يكن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يومًا يحتاج إلى مال أو ما فى الدنيا من متاع، فقد رفض ما جاءه من هدايا من ملكة سبأ، التى ظنت أنه ملك من ملوك الأرض الذين يغريهم المال والجاه الذين جاءوا به من الدنيا وللدنيا، ولكن هذا الملك لم يأت به شعب أو قوة أو دولة أو نظام، إنه نبى من رب العالمين .. لقد رد لها هديتها، وتوعد بإرسال جنود لا قبل لهم بها، حتى يأتوا مسلمين، ولم يكن إرهابيًّا، بل نبيًّا.

obeikandl.com

وكانت لسيدنا سليمان مدرسة فى الإدارة والاستخدام، فكل يقوم بما يستطيع من أعمال، وما يطيق، وما يناسبه .. فهذا طير يرسل رسائل مكتوبة، وهذا جنّىٌّ يمكن أن يأتى بعرش ملكة سبأ فى ثوانٍ معدودة أو أقل، وكان يعلم أن الله يبتلى الإنسان بالنعم كما يبتليه بالنقم؛ ليختبر الإنسان هل شكر أم يكون من الكافرين، فنعم الله سبحانه وتعالى اختبار للبشر كيف سيتصرفون فيها؟، هل سيعطون كل ذى حق حقه؟ أم سيأخذون ويكنزون ويتكبرون ويطغون ويسعون فى الأرض فسادًا؟

وكان مدرسة فى الشكر، تعلم المسلمين سرعة الشكر بمجرد حدوث النعمة؛ حتى لا تلهى النعم عن الذكر، ثم يأتى من بعده النسيان حيث اتباع الهوى والكبر، وغيره.

فعندما جاء عرش ملكة سبأ فى ثوان معدودة، ووجده سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورآه مستقرًا عنده فى اللحظة نفسها: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، فكان نعم العبد، وهو ما أثنى عليه ربه بذلك.

وكما كان سريعًا فى الشكر، كان سريعًا فى الإنابة والعودة إلى الله فى حالة الخطأ أو النسيان، فهى من صفات البشر، التى لا يخلو إنسان منها منذ خلق آدم أبو البشر إلى يوم القيامة، فعندما ضاع الوقت فى حب الخير عن ذكر الله، وجاء وقت آخر، لم تر هذه اللحظات تمر بسهولة على سيدنا سليمان.

فكل وقت لم يذكر فيه الله، أحس فيه أنه مقصر ومذنب، وطلب من ربه الغفران، وكان دليل الاستجابة للدعاء ملموسًا ومباشرًا، فقد طلب من الله عز وجل بعد المغفرة أن يهب له ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده.

فكانت الاستجابة وكانت الهدية فى الدنيا، فسخر الله له الريح تجرى بأمره، والشياطين البنائين، والقدرة على العطاء أو الإمساك عنه بغير حساب والمغفرة فى الآخرة وحسن المآب.

وكما كانت حياته خارقة للبشر وقدرات البشر كانت وفاته كذلك، فكل ملك يموت تموت معه سلطته، أما سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد مد الله له فى قدراته بعد مماته، واستمرت خوارقه إلى أن أظهر الله تعالى موته، فتوقف الجن عن العمل، أما جسده فقد ظهر وكأنه حى يرزق، ففنيت العصا التى يتكئ عليها، ولم يفن الجسد الأسرع فى التحلل من الخشب، فقد أكرمه الله حيًّا وميتًا ويوم يلقاه.

الآيات التى سنتطلق منها لاتباع سنة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فى التوبة:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾[ص:٣٢]؛ للحذر من حب الدنيا، وأن ذكر الله غفران للذنوب.

وفى سورة ص: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾[ص]؛ لطلب الدنيا والآخرة.

***

obeikandl.com

منهج التوبة

الحذر من حب الدنيا:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾[ص:٣٢].

فى مدرسة سليمان للتوبة منهج لتغيير نظرة البنات للدنيا، وتغيير طرق التعامل معها، وتقييمها ووضعها بالنسبة لها.

فهذا سليمان عليه الصلاة والسلام، أعطى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده، فما غاية الملك اليوم إلا المال والقصور والنساء، وغيرها من حطام الدنيا.

هل استطاع أحد من ملوك القرن الواحد والعشرين أن يسير سحابًا، أو يتحكم فيه كيفما شاء؟ هل استطاع ملك من ملوك الأرض أن يسخر الجن كيفا يريد؟ إنه فضل ومنة ونعمة أنعمها الله على نبيه سليمان، ولم ينس أنه عبد الله،وأن الله هو الذى وهبه هذه النعم.

لقد أحس بالذنب لحبه رؤية نعم الله عليه، ولم يذكر الله حين عرضت عليه الخيل الجميلة، فهى من متاع الدنيا، وتذكر أن عند الله حسن المآب والمرجع.

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾[آل عمران].

فما الذى تملكه البنات اليوم؟ ذهب، فضة، ملابس، سيارات، منازل، وغيرها .. فمهما ملكت البنات، فهو من حطام الدنيا، ولا يزيد الناس إلا غرورًا، يقول الله تعالى فى سورة فاطر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾[فاطر].

ولنغير نظرتنا للزينة؛ فهى اختبار من الله للناس، يقول تعالى فى سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾[الكهف]، فالمسلمة التى تدخل مدرسة سليمان فى التوبة، لابد لها أن تغير طريقة تعاملها مع متاع الدنيا التى رزقها الله إياها، وحتى

تتجنب الغرور والكبر بما فى يديها من نعم، عليها بكثرة الذكر والتسبيح والاستغفار والشكر، والحمد لله فى الأولى والآخرة.

فهى تذكر نفسها دائمًا أن هذه النعم جاءت رزقًا كريمًا من الله عز وجل، وليس نتيجة لعملها أو قدراتها. فكم من الفتيات يعتبرن جمالهن وسيلة للتعالى والتكبر على غيرهن من الفتيات اللاتى لم يحظين بهذا القسط من الجمال، فالذى أعطاها الجمال قادر على أن يسلبه منها فى لحظة. فكم تكثر الحوادث!، وكم تكثر الأمراض التى يصاب بها الناس فتأخذ منهم الجمال والشباب ولا يرجع ثانية!، فلتتذكر الله وتشكر نعمته عليها، وتدعه أن يزيدها من فضله، وألا يجعلها فتنة لغيرها من المؤمنين.

وشكر نعمة الجمال يأتى أيضًا بالمحافظة عليه فى الظاهر وفى الباطن، فتحافظ على نوعية طعامها، ولا تأكل إلا الطيب، وتقوم بالأنشطة الجسمية الرياضية والأعمال التى تحفظ جمالها وشبابها من العجز المبكر، الذى يظهر فى صورة السمنة، وانحناء الظهر، وسقوط الشعر، وخشونة الجلد، وتسوس الأسنان أو سقوطها، وفقر الدم، وغيرها من الأمراض التى يصاب بها الفتيات رغم صغر سنهن.

وشكر نعمة الجمال أيضًا، بالمحافظة عليه من أن يسلب نظرات الغير من الرجال الذين لا يحل لهم ذلك، فلتطع الفتاة ربها، وتشكر نعمة جمالها، بارتداء الحجاب، الذى يحفظ جمالها، ويصون عفافها وكرامتها، ولتتذكر الله، ولتعلم أن هذه مرحلة من مراحل حياة الفرد.

فالزهرة عندما تتفتح ويفوح عبيرها، فما يليها هو الذبول والسقوط والجفاف، ولتتدبر كيف وصف الله الحياة الدنيا فى سورة الحديد: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾[الحديد:٢٠].

فإذا نظرنا إلى مراحل نمو الإنسان، نجد أن حياة الأطفال لعب ولهو، ثم تنمو البنت، فتصير شابة، ويظهر عليها ملامح الجمال والنضوج، فتبدأ فى التزين والنظر إلى المرآة، والاهتمام بالمظهر واللبس وجمال الوجه والزينة، وجمال الشعر والجسم، ثم تدخل فى مرحلة النضج والرشد، وتبدأ فى التفاخر بنفسها وزوجها وأولادها وعلمها وعملها ومركزها.

ثم يكبر الأولاد ويتزوجون ويتكاثرون فى الأموال والأولاد.

فكل مرحلة إذن لها ما تتزين به وتتفاخر به وتهتم به، فلا تهتم الشابة بجمع المال وتخزينه، بقدر ما تهتم باللهو والزينة والتفاخر.

لقد خاف رسول الله محمد ﷺ على المسلمين من زينة الدينا وزهرتها.

عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: **«إن مما أخاف عليكم من بعدى، ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»** [متفق عليه](١).

وخشى ﷺ أن تبسط الدنيا على المسلمين كما بسطت على الأمم السابقة، فيتنافسوها كما تنافسها من قبلهم، فتهلكهم كما أهلكت من قبلهم من الأمم.

فالخوف هنا من التنافس والمشاجرة وحب النفس ونسيان رسالة المسلم فى الحياة، فتقل درجة الإيمان، ويبعد الإنسان عن ذكر ربه وتلهيه الدنيا بما فيها. وذكر الله تعالى فى سورة الكهف: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف:٤٦]. والباقيات الصالحات هى: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأن يصبر نفسه مع المؤمنين، ولا يتركهم ليحظى بزينة الدنيا وما فيها، يقول تعالى فى سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨].

وربما تتساءل الفتيات: هل تترك زينة الحياة الدنيا وخيرها وجمالها، وتلجأ إلى التعبد والزهد؟ هل هذا المتاع حرام؟ كيف تعمل فيما آتاها الله من نعم؟

إذا دخلت الفتاة المسلمة مدرسة سليمان فى التوبة، فستحل لها هذه المسائل، وستمر عليها الأزمة بسلام إن شاء الله. لقد وجد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه أمام نعمة من نعم الله بجمالها وعظمتها وقوتها، فأعجب بهذا الوضع، ولم يذكر ربه الذى أعطاه هذه المنزلة، ومن الذى أعطى هذه الجياد وهذا الجمال والروعة والعظمة، ومن الذى أقدره على الرؤية والاطلاع، ومن الذى حباه نعمة الإحساس بالحب والفرح: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ سريع الرجوع إلى ربه، وسريع التذكر، فليس النسيان عيبًا فى البشر، إنه صفة خلق بها، وقد رفع الله تعالى عن أمة الإسلام الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

فلنا جميعًا متع الحياة الدنيا، ولكن كيف؟! فلنتذكر أن رسول الله ﷺ عندما علم بأمر الثلاثة الذين جاءوا إلى زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان أحدهم يقوم الليل ولا ينام، والثانى

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٦٥)، ومسلم فى الزكاة (١٠٥٢/١٢٣).

يصوم النهار ولا يفطر، والثالث لا يتزوج النساء، فلم يثن عليهم رسول الله محمد ﷺ، ولكنه أعلمهم أنه يصوم ويفطر، ويصلى وينام، ويتزوج النساء، وأنه من رغب عن سنته فليس منه ﷺ (١).

فلم يأت الأنبياء والرسل بما لا يطيق البشر، بل جاءوا بما يطيقه البشر، فلم يكونوا ملائكة ولا رسالتهم خارقة.

- تحتاج الفتيات أن يضعن النعم والخيرات التى وهبهن الله إياها فى مكانها الصحيح.

لقد وصل الحال بالشباب، إلى استخدام قوتهم وجمالهم فيما لا يصح أن تستخدم، وفى غير محلها.

لقد أصبح الشباب يتدربون على الألعاب والمهارات الرياضية، ويتفرغون لها؛ لبناء العضلات، وتحسين شكل الجسم، ويذهب الشاب إلى المراكز الرياضية، وإلى النوادى؛ لكى يصل إلى ما يرضى نفسه فى ذلك، ولكن لماذا؟ أين الهدف من هذه النعم والخيرات؟

لو سألت الشاب ربما يجيب عن ذلك بعدة إجابات، منها:

اكتساب شكل جميل، الفوز بالميدالية الذهبية أو الفضية، أو البرونزية، الحصول على بطولات عالمية، الحصول على إعجاب الفتيات، الحصول على مكانة بين الزملاء والأصحاب ... إلخ.

على أية حال، لا يوجد ضمن ما سيقوله معظم هؤلاء الشباب أن سعيه لبناء العضلات والقوة البدنية هى التهيئة للجهاد أو للدفاع عن الدين أو الوطن، بل ربما يسعى هؤلاء المتظاهرون بالقوة إلى الهروب من الخدمة العسكرية.

وعندما تنظر إلى الفتيات المراهقات اليوم، فستجد أن منهن من تستخدم نعم الله وخيراته التى أنعم بها عليها فى أحسن فترات عمرها وجمالها فيما لا يرضى عنه الله ورسوله. نعم، لها أن تتمتع، ولها أن تحب الجمال والرشاقة والتزين والظهور والصحة، ولكن لمن هذا؟

الإجابة هى التى ستفرق بين من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وستوضح من جعل هواه لرضاء الشيطان وأعوانه، ومن يجعل هواه تبعًا لما جاء به رسول الله ﷺ.

ربما تخون الفتاة نفسها، فتقول: إن هذا الأمر يخصنى وأن هذه الزينة لنفسى، وأننى لا

(١) البخارى فى النكاح (٥٠٦٣).

يهمنى غيرى، وأن كل واحد مسئول عن نفسه، وأن الشباب عليه أن يغض بصره وأن ... وأن ... وأن ... فالتحايل على الحق ليس له نهاية، طالما أن الفيصل هو النفس والهوى، وطالما أن الهوى يتبع خطوات الشيطان.

ربما تسأل الفتيات إذا لم تحب الدنيا، فهل تزهد فيها؟ الدنيا فيها الحلال والحرام، فيها الطيب والخبيث، فيها ما يرضى الله وما يغضبه، فيها الصواب والخطأ، فيها كل المتناقضات، والأخت المسلمة الفطنة هى التى تتمتع بها فيما يرضى الله، وتأخذ الطيب وتصطفيه، وتقدر على التفرقة بين الصواب والخطأ، فليست الزهادة فى الدينا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال.

وإذا كان حب الله وحب الناس مطلوبًا، فإن رسول الله محمدًا ﷺ قد أحل هذا الطلب فى الزهد، فعندما سأله رجل أن يدله على عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس قال ﷺ: **«ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس»**(١).

والزهد فى الدنيا لا يمنع من التمتع بها والإحساس بجمالها، ولكنه يقف حائلًا بين المرء والطمع فى الدنيا، وعدم الشبع منها وحبها إلى درجة نسيان النفس. قال ﷺ: **«حبب إلىّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة»**(٢).

هكذا لم يضع محمد ﷺ الصلاة فى درجات حبه للنساء والطيب نفسها، ولكن هذا أمر الدنيا، وأمر الدين فجعلت رضا نفسه وقرة عينه فى الصلاة.

طلب الدنيا والآخرة:

فى سورة ص: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ [ص:٣٥].

قال محمد ﷺ: **«قال سليمان: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذى نفسى بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله»** [أخرجه البخارى](٣).

فهذه قصة لسيدنا سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، حكاها لنا رسول الله محمد ﷺ، وهى توضح كيف

---

(١) ابن ماجه فى الزهد (٤١٠٢)، وفى الزوائد: «فى إسناده خالد بن عمرو، وهو ضعيف متفق على ضعفه، واتهم بالوضع ...»، وصحح إسناده الشيخ الألبانى.

(٢) النسائى فى عشرة النساء (٣٩٣٩)، وأحمد (١٢٨/٣، ١٩٩).

(٣) البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٢٤).

أعطى الله تعالى قوة وقدرات غير عادية لنبيه سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكيف أظهر سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه القدرة وتحدث بها، وماذا كانت نيته من هذا العمل، لكن لم يأت القدر بما تمنى سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلم يقل: إن شاء الله، وهو يعلم - وهو نبى - أن الله بيده ملكوت السموات والأرض، وهو يقضى ولا يقضى عليه، إلا أن عدم الذكر مع التمنى والتوقع، اعتبره سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذنبًا، طلب من ربه أن يغفره له.

وتعلمنا مدرسة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كيف أن طلب المغفرة والعفو لا يعنى ترك الدنيا وما فيها من نعيم وخيرات، وأن هذا النعيم لا يمنع من عبادة الله والفوز بجنته.

وهذه هى سنة رسول الله محمد ﷺ، فقد كان يدعو: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة].

والمسلم يسأل الله حسن ثواب الدنيا والآخرة.

فالإسلام لا يمنع التمتع بالدنيا وزينتها، بل يجعلها عبادة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام] .. فكل ما فى الحياة من فرحة وألم، غنى وفقر، صحة ومرض، كلها من الله رب العالمين، وعلى المؤمن أن يرضى بما قدر الله له من خير، وأن يطلب دائمًا سعادة الدارين الدنيا والآخرة، ويتعجب الرسول ﷺ من أمر المؤمن؛ لأن كل أمره خير: **«إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»**(١).

فالخير للمؤمن فى كل الأحوال؛ فهو يرى بنظارة الإيمان بالله، وجميل التوكل عليه، وحسن الإنابة إليه، وهو ما يختلف عن زاوية النظر عند غيره من الناس، والذين لم يحظوا بمثل هذه النعم - نعمة الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ونعمة الإسلام، ونعمة حب الله ورسوله.

فهذا الثانى يرى الخير فلا يعترف به، ويرى الشر فلا يصبر عليه. فكيف إذا جاءت له الدنيا بما فيها، فلا يشبع ولا يعترف بها، ولا يشكر النعمة، ولا يحافظ عليها، وقليلا ما يشكرون.

لماذا الأخوات المسلمات خريجات مدرسة سليمان فى التوبة أكثر حظًّا من غيرهن؟ ربما

(١) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٩٩/٦٤).

تجيبكِ السطور القادمة على السؤال، وربما تجدين فى نفسك إجابات أخرى، وفى كل الأحوال هن كذلك:

- يتمتعن بزينة الدنيا والتى أخرجها الله لعباده، يقول تعالى فى سورة الأعراف: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[الأعراف:٣٢].

هل الأخت المسلمة تحرم نفسها من ملبس أو مأكل أو زينة أو الترفيه أو العلم أو ما فى الدنيا من خير؟

عندما تجدين كيف تعانى البنات والسيدات باتباعهن رچيم الشرق ورچيم الغرب ورچيم الصين، وغيرها من الأنظمة البشرية، فتحرم نفسها من طعام ما وتحرمه على نفسها، كالذين يمتنعون عن تناول اللحوم والمنتجات الحيوانية، والذين يمتنعون عن تناول الخبز، والذين يمتنعون عن تناول الفواكه وغيرها؛ من أجل الوصول إلى صورة ترضيهم وترضى الناس عنهم.

تجدين المسلمة المؤمنة بالله ورسوله، تجعل هواها لما جاء به رسول الله محمد ﷺ، فتتبع سنته وطريقة حياته، فتفوز بالدنيا والآخرة، فلا تأكل إلا عندما تجوع، ولا تملأ معدتها عند الطعام؛ فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس، وتصوم وتعمل وتخدم نفسها، وتمشى فى الأسواق لقضاء حاجتها دون حرج أو تكبر، وتقدم المساعدة لغيرها وتمشى فى قضاء حوائج المسلمين.

وبعد اتباع هذه السنة المعطرة، سنة رسول الله محمد ﷺ، فهل تحتاج المسلمة الصالحة لسنة الغرب أو الشرق، لسنة من لا ملة ولا دين لهم، لسنة أعداء الدين والإسلام لسنة المغضوب عليهم والضالين؟ .. لا .. لا.

فالمسلمة لا ترضى عن سنة رسول الله ﷺ بديلًا. وعندما تجرى الفتيات وراء الموضة وسنة أعداء الإسلام فى اللبس والزينة، فإنها ستجد نفسها لا يرضيها ما عندها ولا يكفيها ما تمتلكه فكل يوم جديد وليس بجديد، فالقديم اليوم هو كذلك لكى يباع جديدًا، وكل عام يتفق أعداء الدين - وكلهم أولياء بعض - على أن يظهروا جزءًا من جسم المرأة والفتاة.

فهذا العام تظهر جزءًا من بطنها، وهذا العام تلبس أحمر لاصقًا على الجسم، والعام القادم تظهر جزءًا معينًا من صدرها، ويكون طول الفستان أو (الجيبة) فوق الركبة بمقدار كذا ...

وهكذا. وتمشى الفتيات المحرومات من العلم والدين والعقل وراء الضالين والمغضوب عليهم؛ لعلها ترضى نفسها وهواها، وتساير أحدث خطوط الموضة، ومدارس الأزياء الراقية لمنازل الشياطين.

ولكن الطاهرات المؤمنات القانتات الصالحات، لا يحرمن أنفسهن من الزينة؛ فكل الطيبات حل لهن، ولهن كل ما يرغبن فى الزينة ويستخدمنها كما يرضى الله ورسوله، فتأخذ الدنيا والآخرة، فلا تظهر إلا ما أمر به الشرع: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[النور:٣١].

فهذا هو الإطار الربانى للمؤمنات اللاتى يلتزمن بدينهن، فالزينة ليست لكل الناس، والفتاة ليست بضاعة رخيصة، تعرض فى الشوارع على المحطات وفى الأتوبيسات وفى الجامعات وفى المدارس وفى الأسواق، وعلى شاشات التلفزيونات وشاشات الحاسبات وأوراق الجرائد والمجلات، إنها غالية الثمن، أغلى من الذهب الذى يحفظ فى البترينات وعلب القطيفة، ويهدى للغاليات، هى أغلى من الفواكه التى تحفظ فى علب مغطاة، وفى درجة حرارة مناسبة، ولا تباع إلا للقادرين من الناس.

هى أشرف المخلوقات وأكرمهم، فكيف ترضى لنفسها أن تسقط وتقل قيمتها عن رغيف الخبز الذى يباع على الأرصفة، فهذا الرغيف الرخيص له ثمن، أما من عرضت نفسها لكل الناس ليصيبوا من حسنها وجمالها، لا أجر لها؛ إنها بلا ثمن. فأى فرق ومنزلة وكرامة إذن بين هذه الفتيات وبين المؤمنات لا يمكن وضعهن فى مقارنة إطلاقًا!

- الأخوات المسلمات يستطعن الاستمتاع بزينة الدنيا، ويحظين بحسن ثواب الآخرة، أما الأخريات فغايتهن الدنيا، ويكفى أنها دنيا قصيرة الأجل نهايتها تراب وآخرها عذاب.

- المسلمات الصالحات يشبعن حاجاتهن من الدنيا من مأكل ومشرب وزينة وملبس وعلم وعمل، ويتوكلن على الله فى كل أعمالهن، ويطلبن من الله العون الدائم والتوفيق والسداد والرشد والفلاح والمغفرة إذا أخطأن، وحسن البصيرة فى الأمور وحب الله وحب

رسوله وحب الخير للناس جميعًا، وهن أنفع الناس للناس، هن يعملن ويتوكلن على الله فى كل أحوالهن حق توكله، فيحدثن توازنا فى حياتهن، فلا يهمهن لوم لائم، ولا هجوم حاقد، رضاء الله هو أسمى ما يطلبن، وطاعته وطاعة رسوله هى سبيلهن فى الحياة.

فهل هذه الفتاة تقارن بغيرها، شتان بينها وبين من ارتضت بزينة الحياة الدنيا وحطامها.

المؤمنة ليست من الذين يقولون: ربنا آتنا فى الدنيا وما لها فى الآخرة من نصيب.

إنما تدعو الله أن يرزقها حسن ثواب الدنيا والآخرة، فهى تسعى بالدنيا وتسعى إلى الآخرة، فكان سعيها مشكورًا، يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

ولا تتعجب العاصيات من عطاء الله لهن، أو يطمئن قلبهن لذلك؛ فعطاء الله ليس محظورًا على أحد.

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء].

ذكر الله غفران للذنوب:

قال تعالى فى سورة ص: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾.

الأخت المؤمنة التى تدخل مدرسة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فى التوبة، لا تجد سبيلًا للنجاة من الذنوب والإنابة إلى الله تعالى غير الذكر – ذكر الله سبحانه وتعالى – فى قلبها وبلسانها، وفى عقلها، وتحفظه فى ذهنها، وتعتبر بهذا الذكر، وتنصح نفسها وغيرها به.

قال تعالى فى سورة آل عمران: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

المؤمنة الفطنة تدرك معنى الفاحشة وماهيتها، وتعرف متى تظلم نفسها، فتسرع بالإنابة إلى الله فتستغفر لذنبها، هى لا تترك الظروف لتسيرها كما تسيرها، ولا تترك الناس تتحكم فيها، ثم تكون العاقبة عليها والحساب على نفسها يوم القيامة.

فهى هنا أحكمت عقلها، واستفادت بعلمها وآيات الله وسنة رسوله، فذكرت ربها، ولم ترض بحالها إلا ما يرضى الله تعالى.

يقول الله عز وجل فى سورة الأحزاب: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب].

لم تغفل الأخت الصالحة عن الذكر لحظة واحد، فلسانها رطب بذكر الله وخطواتها استغفار، وصعودها تكبير، ونزولها تسبيح وتهليل، فهى تنتظر ما أعده الله لها من مغفرة وأجر عظيم.

يقول الله تبارك وتعالى فى سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

أصبحت حياة المؤمنة ذكرًا – صباحًا ومساء – واستغفارًا، فهل هناك وقت إذن لاتباع خطوات الشيطان؟!، هل هناك وقت لسماع أغانى اللهو والنطق بها؟!، هل هناك وقت للحديث عبر الهاتف فيما يغضب الله؟!، هل هناك وقت للجلوس بالساعات أمام الحاسب لمخاطبة الغرباء أو أصحاب اللغو واللهو، والذين لا يذكرون الله إلا قليلًا؟!

لم يصبح فى القلب غيره هو، لم يصبح على اللسان من كلمات غير كلامه هو، لم يصبح فى العقل غيره هو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر].

وأى فضل تسعى إليه الأخت أكبر من فضل ذكر الله لها.

تفرح الأخت عندما يذكرها من تقدره وتحترمه وتعزه، فأى فرح وأى متعة وأى سعادة عندما يذكرها الله خالق البشر أجمعين؟!، يقول تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

وذكر الله عز وجل ثناء على عباده - فضلًا منه ومنة ونعمة - فهو يخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور بإذنه تعالى.

فلا تحتاج المؤمنة الصالحة لكثير من الاستشارات ممن لا يفقهون، وأصحاب العلم غير القائم على اتباع سنة الله ورسوله .. إنه علم أصحاب الجهل، الذين يضلون الناس على غير علم بدين الله .. هو علم المغضوب عليهم والضالين.

لماذا تنشغل الأخت بالدنيا ومشكلاتها بعد أن عرفت أن الله عز وجل سيعطيها بفضل ذكره أفضل ما يعطى السائلين؟!، لماذا تنشغل بأعمال لا خير فيها، بعد أن أدركت أن ذكر الله تعالى خير الأعمال وأزكاها؟!

لماذا تترك نفسها لهموم الدنيا ولغو ولهو حديثها، فيكون ذلك عليها حسرة يوم القيامة على ما فرطت فى ذكر الله؟!

لماذا تترك ظل الله فى الجنة يوم الحساب، والذى يحظى به الذاكرون والذاكرات؟ لقد أيقنت الأخت المسلمة هذا الفضل العظيم، فعكفت على ذكر الله فى نفسها تضرعًا وخفية، وقيامًا وقعودًا وبكرة وأصيلًا، وفى جميع أحوالها.

وهى لم تكتف بذلك لقد جمعت واجتمعت مع الصالحات فى روضة الجنة، فى مجالس العلم، فى رحاب رحمة الله رب العالمين، وأخذن يذكرن الله ويتلون آياته، فحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده .. فهن الجليسات اللاتى لا يشقى بهن جليستهن.

وإذا كانت جميع الأعمال ستوضع يوم القيامة على الميزان، فإن لا إله إلا الله لا توضع فى ميزان.

قال ﷺ لأبى هريرة: **«يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها لا توضع فى ميزان؛ لأنها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقًا، ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن، كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك»**[1].

فذكر لا إله إلا الله أفضل ما قاله النبيون، وهى ما يفتح بها أبواب الجنة، وهى من أسباب محو الخطايا والذنوب، ورفع الدرجات، وهى من أفضل الذكر الذى لا يجب أن تنساها الأخوات طوال اليوم والليلة.

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٥/١١).

وللمسلمة كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، وهما: «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[١]. وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وهى من الأذكار التى يثاب قائلها بغفران الذنب إن شاء الله، وهى من أحب الكلام إلى الله عز وجل.

❊❊❊

(١) البخارى فى الدعوات (٦٤٠٦)، ومسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٣١/٢٦٩٤).

obeikandl.com